المحاضرة(02): التصنيف في النحو العربي

من الواضح أن بداية التفكير في وضع علم يتصدى لوباء اللحن الذي تفشى في لغة العرب؛ بعد انتشار الإسلام، واتساع رقعته، ودخول الأمم المختلفة في دين الله أفواجا؛ قد بدأ مبكرا وبالضبط في صدر الإسلام. فكانت طبقة النحاة الأولى من نحاة البصرة تنخرط في سلك القراء؛ إذْ كانوا من قراء القرآن الكريم، والدارسين لأحكامه. فكان لزامًا عليهم أن يتصدوا لهذه الظاهرة–اللحن– التي وصل أثرها إلى بعض الكلمات من كتاب الله، والتي كانت تنطق في بعض الأحيان على غير ما أُنزلت عليه؛ وبخاصة على ألسن غير العرب ممن دخل في الإسلام من العجم. فكان أن ظهر نقط الإعراب على يد أبي الأسود الدؤلي؛ تصديا لوقوع اللحن وشيوعه. كما أُثيرت نقاشات من طرف الرعيل الأول من أهل اللغة، والمختصين بعلومها؛ في المسائل والأبواب التي وقع فيها اللحن، نحو: باب التعجب، وباب الفاعل، وباب خبر إن... وغيرها من المسائل التي تزخر بها الكتب التي تؤرخ لهذا الدرس اللغوي.

1-التصنيف النحوي عند البصريين

لقد كانت البدايات الأولى لعلم النحو تتجلى في ردّ المستعملين للغة العربية على غير ما استعملها العربي الأول؛ فبمجرد وقوع اللحن يُردّ الواقع فيه من طرف مستمعوه من أهل اللغة إلى الصواب. واضطلع بهذا الأمر أبو الأسود الدؤلي(69هـ)الذي يعود له شرف وضع نقط الإعراب الذي مهد لظهور الحركات الإعرابية فيما بعد. وبعض من تلاميذه، نحو: حبد الرحمن بن هرمز(117هـ)، وميمون الأقرن، عنبسة الفيل، ويحي بن يعمر(129هـ)، ونصر بن عاصم الليثي(89هـ) الذين أضافوا إلى ما وضع من قبلهم من المسائل النحوية؛ فخلفوا بعض الآراء النحوية التي تزخر بهاكتب المتأخرين، ومنهم من ابتكر نقط الإعجام. وجاء من بعدهم عبد الله بن لإسحاق الحضرمي(117هـ)، عيسى بن

عمرالثقفي(149هـ)، وأبو عمر بن العلاء(154هـ). وعلى أيدي هؤلاء ظهر التعليل للقواعد النحوية، والتأويل، ومُدّ القياس، وظهرت بعض الاراء النحويه المتفردة...غير أن هذه الفئة الأولى من النحاة لم تترك أثرا مكتوبا؛ سوى ما ذكر في بيتين من الشعر ينسبان للخليل، وفيهما ورد اسمي كتابين لعيسى بن عمر(الجامع) و(الإكمال) إذْ قال:

ذهب النّحو جميعا كله***غيرَ ما أحدث عيسى بن عمر

هذا إكمال وذاك جامع***فهمـا للنـاس شمـس وقمـر[1]

وجاء من بعدهم تلاميذهم، نحو: الأخفش الأكبر–أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد–(177هـ)، ويونس بن حبيب (182هـ)، والخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) الذي على يديه اقترب اكتمال علميْ النحو والصرف ونضجهما، ويظهر ذلك فيما دوّنه عنه تلميذه سيبويه في كتابه (الكتاب) وإليه ينسب كتاب (الجمل)، وغيرهم من أقطاب المدرسة البصرية من أمثال سيبويه–عمر بن عثمان بن قنبر–(180هـ) صاحب (الكتاب) واليزيدي–أبو محمد يحي بن المبارك–(202هـ) صاحب(المقصور والمدود) و(مختصر في النحو) والأخفش الأوسط– أبو الحسن سعد بن مسعدة–(215هـ)مؤلف كتابيْ(الأوسط في النحو) و(المقاييس في النحو) وقطرب–أبو علي محمد بن المستنير–(206هـ) وله في النحو: (إعراب القرآن) و(العلل في النحو) و(المثلث في النحو) والجرمي–أبو عمر صالح بن إسحاق البجلي–(225هـ) وله مجموعة من المؤلفات النحوية والصرفية، منها: (الفرخ) ومعناه: فرخ كتاب سيبويه و(التثنية والجمع) و(تفسير غريب سيبويه) و(مختصر نحو المتعلمين) و(الأبنية) و(التصريف). والتوزي–أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون–(230هـ) صاحب

[1] – محمد رواي، النحو العربي، ص155.

كتاب(فعلت وأفعلت). والمازني- أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان-(249هـ) وله كتاب(علل النحو). وأبو حاتم السيجستاني-سهل بن محمد بن عثمان-(255هـ) صاحب:(إعراب القرآن) و(المختصر في النحو) و(المقصور والممدود) و(المذكر والمؤنث). الريشي-أبو الفضل عباس بن الفرج-(257هـ). والمبرد- أبو العباس محمد بن يزيد-(286هـ) وله في النحو والصرف: (إعراب القرآن)و(المقتضب)و(التصريف)و(االكامل)و(طبقات النحاة البصريين)و(المقصور والممدود).

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضع بالذات، هو: أن معظم مؤلفات ذلك العصر تتميز بعدم التخصص في مجال لغوي معين؛ وبخاصة المصنفات الأولى؛ ف: «المؤلَّف في هذا العصر كان يشتمل على أبواب في النحو وأخرى تدخل في مجال الصرف وثالثة تندرج تحت ما يسمى بمتن اللغة. هكذا كان الكتاب أبوابا يمكن إلحاقها-حسب التقسيم الدقيق لفروع علم اللغة الحديث- بعدة مستويات أو بفروع لغوية متنوعة».[2]

2-التصنيف النحوي عند الكوفيين

بدأت الدراسات النحوية بالكوفة متأخرة عنها في البصرة بنحو قرن من الزمن؛ على الرغم من خط الكوفة وتمصيرها بعد سنتين أو ثلاث من خط مدينة البصرة غير أن بعدها عن طريق القوافل، وبعدها عن مواطن الثقافات المختلفة، وطبيعة الحياة العسكرية؛ على اعتبار أنها أنشئت لجند الإسلام الذين ضاق بهم العيش في المدائن بعد فتحها؛ وهذا راجع إلى طبيعة العربي الذي أَلِفَ الحياة الحرة-حياة البادية-. وغير ذلك من الأسباب كانشغال«أهلها بالقراءات القرآنية، والحديث

[2] - محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، ط1، مصر: 1985، دار المعارف، ص 33.

النبوي، وأصول الفقه، ودراسة آيات الأحكام. والفتيا بها، إلى جانب رواية الشعر ودراسة الأدب»[3]؛ بسبب هجرة كثير من القراء والفقهاء والشعراء إليها؛ مما أخرها عن الاشتغال بالعلوم المختلفة.

ولم تتضح معالم المدرسة الكوفية كمدرسة نحوية قائمة بذاتها، ولها سماتها وخصائصها التي تميزها عن المدرسة النحوية البصرية؛ إلّا من خلال مناهضتها لمبادئها، وردّ بعض آراء نحاتها، وتخطيئهم في بعض المسائل النحوية(المسألة الزنبورية بين الكسائي وسيبويه). ولعل منشأ الخلاف كان على يد سعد بن مسعدة(الأخفش الأوسط) وهو واحد من رؤوس المدرسة البصرية، والذي آثره سيبويه بكتابه دون غيره من تلاميذه.

ولم يكن الأخفش الأوسط الوحيد الذي تتلمذ على يد نحاة البصرة، وأخذ النحو عنهم. فجميع رؤوس المدرسة الكوفية تتلمذوا على أيدي نحاة البصرة، وأخذوا نحوهم عنهم؛ فأبو جعفر الرواسي أخذ النحو عن أبي عمر بن العلاء، وعيسى بن عمر. ومعاذ بن الهراء اختلف إلى نحاة البصرة وأخذ عنهم. والكسائي أخذ عن عيسى بن عمر، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب. والفراءتتلمذ على يد يونس بن حبيب.[4]

وبالعودة إلى كتب التراجم والسير؛ لم نعثر على أثر مكتوب لرؤوس المدرسة الكوفية؛ إنْ أبو مسلم معاذ الهراء(187هـ) أو الرواسي–أبو جعفر محمد بن الحسن؛ غير بعض الآراء النحوية التي لا يعتد بها.[5] وصنف الكسائي–أبو الحسن

---

[3] – محمد رواي، النحو العربي، ص377.

[4] – ينظر: المرجع نفسه، ص 378.

5 – ينظر: محمد رواي، النحو العربي، ص388.

علي بن حمزة–(189هـ)[6] كتابين في النحو، هما:(مختصر في النحو)و(الحدود النحوية). وللأحمر– أبو الحسن علي بن الحسن، وقيل ابن المبارك–(194هـ)[7] في النحو والصرف كتاب(مقاييس التصريف). أما عن الفراء–أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي–(207هـ)[8] فقد ألّف في النحو:(الحدود في النحو) و(المذكر والمؤنث) و(المقصور والممدود) و(الجمع والتثنية في القرآن الكريم) و(الكتاب الكبير في النحو). وصنف هشام الضرير–أبو عبد الله هشام بن معاوية الضرير–(209هـ)[9]ثلاث كتب، هي:(الحدود) و(المختصر) و(القياس). وجاء من بعدهم:

* ابن سعدان–أبو جعفر بن سعدان الضرير–(231هـ) قيل، أنه ألّف كتابا في النحو.[10] لم يُذكر له عنوان.

* ابن قادم–أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم–(251هـ)[11] وله في النحو:(الكافي) و(المختصر).

* ثعلب–أبو العباس أحمد بن يحي–(291هـ)[12] له في النحو:(اختلاف النحويين) و(ما ينصرف وما لا ينصرف) و(حد النحو).

3– التصنيف النحوي عند البغداديين

---

6 – ينظر : محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص116.

7 – ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، مصر:1355هـ، دار المأمون و دار الحلبي، ج5، ص 13

8 – ينظر: السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مطبعة الحلبي، ج2، ص333.

9 – ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، 188.

10 – ينظر: محمد رواي، النحو العربي، ص417.

11 – ينظر : محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص120.

12 – ينظر المرجع نفسه، ص120.

بعد أن اتخذ العباسيون بغداد عاصمة لدولتهم الفتية الناشئة، وأخذت جموع العلماء تتوافد عليها؛ طلبا للتقرب من الخلفاء؛ لعرض علومهم وأفكارهم وإنتاجهم الأدبي–شعرا ونثرا– وخاصة الشعر منه؛ بغية الحصول على اتشجيع والتكسب.«أما بالنسبة لعلماء النحو واللغة ، فقد كان الكوفيون أسبق من البصريين في الوفود إلى بغداد، ونيل الحظوة عند أرباب السلطان، حيث وفد إليها الكسائي حاملا معه نحو الكوفة وعلمها وآراء العلماء فيها».[13] ثم وفد إليها الأحمر، وبعده رحل إلى بغداد يحي بن زياد الفراء... وغيرهم من رؤوس النحو الكوفي.

ولما تواردت أخبار النعيم الذي يتقلب فيه نحاة الكوفة في بغداد، والحظوة التي نالوها عند خلفاء بني العباس؛ عقد بعض نحاة البصرة الانتقال إلى بغداد عسى أن يصيبهم من نِعَمِ العباسيين المغدقة على نحاة الكوفة؛ فانتقل المبرد إلى بغداد، وأقام مجلسا له في مسجدها رغم التصدي الذي قُوبل به، ومعارضة ثعلب لذلك؛ لكنه استطاع أن يؤسس حلقة له في مسجد بغداد، حتى أنها استقطبت بعض أنصار المذهب الكوفي، وبذلك تم التمكين للنحو البصري في بغداد؛ وهكذا التقت المدرستان في بغداد. البصرية بزعامة المبرد، والكوفية بزعامة ثعلب.

وكان أثر تلاقي المذهبين في بغداد؛ انقسام النحاة إلى ثلاث فرق:

1– فريق غلبت عليه النزعة البصرية، ومنهم: الزجاج–أبو إسحاق إبراهيم بن السري–(310هـ) من مصنفاته في النحو:(مختصر النحو) و(ما ينصرف وما لا ينصرف) و(شرح أبيات سيبويه) و(كتاب فعلت وأفعلت). وابن السراج–أبو بكر محمد بن السري–(316هـ) وألف في النحو:(الأصول) و(جمل الأصول) و(وشرح كتاب سيبويه) و(الموجز). والزجاجي– أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق–

13 – محمد رواي، النحو العربي، ص441.

(337هـ) وله مؤلفات في النحو منها: (الجمل) و(الإيضاح في علل النحو) و(الكافي) وله كتاب في النحو والأدب واللغة وغيرها(الأمالي –الصغرى والوسطى والكبرى–). ومَبْرَمَان–أبو بكر محمد بن علي العسكري–(345هـ) من آثاره في النحو:(شرح شواهد سيبويه) و(شرح كتاب سيبويه–لم يتم–) و(شرح كتاب الأخفش) و(التلقين). وابن دَرَسْتَويه– أبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستوية الفارسي– (347هـ) وله في النحو:(الإرشاد) و(أسرار النحويين) و(الرد على ثعلب في اختلاف النحويين) و(أخبار النحويين) و(شرح المقتضب–لم يتمه–) و(الأزمنه–لم يتمه) و(الرد على ابن زيد البلخي في النحو).[14]

2– فريق غلبت عليه النزعة الكوفية، ومنهم: أبو موسى الحامض–سليمان بن محمد–(305هـ) له في النحو:(مختصر). وابن الأنباري–أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري–(327هـ) ألف في النحو:(الكافي) و(الواضح) و(الموضح) و(المقصور والممدود) و(الزاهر) و(الأضداد) و(المذكر والمؤنث).[15]

3– فريق جمع بين النزعتين، ومنهم: ابن قتيبة– أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري–(276هـ) وصنف في النحو:(جامع النحو الكبير) و(جامع النحو الصغير). وابن كَيْسان–أبو الحسن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن كيسان–(299هـ) وله في النحو:(المهذب) و(المختار في علل النحو) و(المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون) و (الفاعل والمفعول) و(المقصور والممدود) و(المذكر والمؤنث) و(مختصر في النحو) و(الشاذ في النحو). والأخفش الصغير– أبو الحسن علي بن سليمان–(315هـ) له مصنفات في النحو، هي:(التثنية والجمع) و(أخبار معروفة) و(شرح كتاب سيبويه) و(تفسير رسالة كتاب سيبويه) و(المهذب).

---

14 – ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص172.

15 – ينظر المرجع نفسه، ص185.

وابن شقير–أبو بكر أحمد بن الحسين البغدادي–(317هـ) له في النحو:(مختصر في النحو) و(المقصور والممدود) و(المذكر). وابن الخياط–أبو بكر محمد ابن أحمد–(320هـ) صنف في النحو:(النحو الكبير) و(الموجز) و(المقنع). ونفطويه–أبو عبد الله إبراهيم بن محمد المهلبي–(323هـ) ألّف في النحو:(المقنع).[16]

ومن أشهر نحاة بغداد المتأخرين؛[17] نذكر:

* السيرافي–أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان–(368هـ) له في النحو: (شرح كتاب سيبويه) و(أخبار النحويين البصريين) و(الإقناع في النحو–لم يتمه–) و(المدخل إلى كتاب سيبويه).

* ابن خالوية–أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالوية–(370هـ) له في النحو: (الجمل في النحو) و(إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم) و(المقصور والممدود) و(المذكر والمؤنث) و(المبتدأ في النحو).

* أبو علي الفارسي–أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان ابن أبان–(377هـ) له في النحو: (الإيضاح) و(التكملة) و(التذكرة)و (المقصور والممدود) و(الأغفال فيما أغفله الزجاجي في معانيه) و(العوامل المائة) و(محتصر عوامل الإعراب).

*الرماني– أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن عبد الله–(384هـ) له في النحو والصرف: (شرح كتاب سيبويه) و(نكت سيبويه) و(أغراض كتاب سيبويه) و(المسائل المفردة في كتاب سيبويه) و(شرح المدخل إلى سيبويه للمبرد) و(شرح

16– ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، ص186– ينظر: محمد رواي، النحو العربي، ص349.

17 – ينظر: محمد رواي، النحو العربي، ص489– ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاةن ص197.

المسائل للأخفش) و(شرح الألف واللام للمازني) و(شرح الموجز لابن السراج) و(الإيجاز في النحو) و(المبتدأ في النحو) و(شرح مختصر الجرمي) و(شرح الأصول لابن السراج)؛ وله (التصريف) و(الاشتقاق الصغير) و(الاشتقاق الكبير).

*ابن جني–أبو الفتح عثمان بن جني–(392هـ) وله في النحو: (التعاقب في العربية) و(المعرب) و(التلقي) و(اللمع) و(الألفاظ من المهموز) و(المذكر والمؤنث) و(المقصور والممدود) و(محاسن العربية) و(التثنية) و(المهذب) و(التبصرة)؛ و له في الصرف:(جمل أصول التصريف) و(المصنف–شرح تصريف المازني–) و(التصريف الملوكي).

* الربعي–أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي–(420هـ) له في النحو: (شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي) و(شرح مختصر الجرمي).

* ابن برهان–أبو القاسم عبد الواحد علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان الأسدي العكبري–(456هـ) له في النحو: (شرح اللمع لابن جني).

* التبريزي–أبو زكريا يحي بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني بن الخطيب التبريزي–(552هـ) له في النحو:(مقدمة في النحو) و(شرح اللمع لابن جني).

* ملك النحاة –أبو نزار الحسن بن صافي بن عبد الله بن نزار بن بن أبي الحسن–(568هـ) له في النحو والصرف:(الحاوي) و(العمدة) و(المنتخب) و(التذكرة الشعرية) و(المقتصد).

*الزمخشري–جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر بم محمد بن أحمد–(538هـ) له في النحو: (المفصل في النحو) و(الأنموذج) و(شرح بعض مشكلات المفصل) و(شرح أبيات كتاب سيبويه) و(صميم العربية).

* ابن الشجري–الشريف ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي–(542هـ) له في النحو والصرف:(شرح اللمع لابن جني) و(شرح التصريف الملوكي لابن جني).

*ابن الخشاب–أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب–(567هـ) له في النحو:(المرتجل–شرح لجمل الجرجاني–) و(شرح اللمع لابن جني) و(شرح مقدمة ابن هبيرة في النحو) و(الرد على ابن بابشاذ في كتابه(شرح جمل الزجاجي)).

*ابن الدهان–أبو محمد ناصح الدين سعيد بن المبارك–(569هـ) له في النحو:(شرح الإيضاح والتكملة لابن جني) و(شرح الفصول الكبرى لابن معط) و(شرح الفصول الصغرى لابن معط) و(شرح اللمع لابن جني) و(الرياضة في النكت النحوية) و(الدوري في النحو) و(المقصود في المقصور والممدود).

*الأنباري–أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن عبد الله الأنباري–(577هـ) له في النحو والصرف:(الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) و(الإغراب في جدل الإعراب) و(لمع الأدلة في النحو) و(غريب إعراب القرآن) و(حلية العقود في المقصور والممدود) و(البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث) و(فعلت وأفعلت) و(عقود الإعراب) و(شفاء المسائل في بيان رتبة الفاعل) و(كلا وكلتا) و(كيف) و(حواشي على الإيضاح لأبي علي الفارسي) و(أصول الفصول في التصريف) و(الوجيز في التصريف).

*المطرزي–أبو الفتح ناصر بن أبي المكارم عبد السيد بن علي–(610هـ) له في النحو:(المصباح في النحو).

* العكبري–محب الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين العكبري–(616هـ) له في النحو والصرف:(إعراب القرآن) و(إعراب القراءات الشواذ)

و(إعراب الحديث) و(لباب كتاب سيبويه) و(شرح أبيات سيبويه) و(شرح اللمع لابن جني) و(شرح الإيضاح والتكملة لأبي علي الفارسي) و(اللباب في علل البناء والإعراب) و(التلخيص) و(الإشارة) و(التلقين) و(التهذيب في النحو) و(إيضاح المفصل) و(إعراب شعر الحماسة) و(التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين) و(الترصيف في التصريف).

* ابن الخباز–أبو العباس شمس الدين أحمد بن الحسين بن أحمد الموصلي–(637هـ) لأه في النحو: (شرح اللمع لابن جني) و(شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي) و(الكفاية في النحو) و(النهاية في النحو) و(شرح المقدمة الجزولية) و(شرح الفصول لابن معط) و(الدرة المخفية–شرح الدرة الألفية لابن معط–).